خطبة جمعة رقم (02) بمناسبة بداية السنة الهجرية تحت عنوان

[تَذْكِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، بِالْأَعْمَالِ التِي لَا تَنْقَطِعُ بِالْمَمَاتِ]

اَلْخُطْبَةُ الْأَولَى:

اَلْحَمْدُ لِلَّهِ حَمْدًا كَثِيرًا، جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجاً وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجاً وَقَمَراً مُنِيراً، وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُوراً، وَأَشْهَدُ أَنْ لَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ لِلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً، صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ صَلَاةً وَتَسْلِيمًا كَثِيراً، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ أَزْمِنَةً وَدُهُوراً.

أَمَّا بَعْدُ فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوةُ الْمُسْلِمُونَ:

سَنُكْمِلُ حَدِيثَنَا وَإِيَّاكُمْ – بِحَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى – فِي مَوْضُوعِ تَقْصِيرِ الْآمَالِ، قَبْلَ حُلُولِ الْآجَالِ، وَخُلَاصَةُ مَا ذَكَرْنَا فِي ذَلِكَ أَنَّ الْمَوْتَ مَصِيرٌ حَتْمِيٌّ، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِكْكُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ... لِذَلِكُمْ يَجِبُ تَقْصِيرُ الْأَمَلِ فِي طَلَبِ دَارِ الدُّنْيَا الْفَانِيَةِ، وَالِاسْتِعْدَادُ لِدَارِ الْآخِرَةِ الْبَاقِيَةِ، فَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ قَالَ: أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَنْكِبِي فَقَالَ: كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ كَعَابِرِ سَبِيلٍ. وَسَيَكُونُ عُنْوَانُ خُطْبَتِنَا لِـهَذَا الْيَوْمِ الْمُبَارَكِ السَّعِيدِ هُوَ: تَذْكِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، بِالْأَعْمَالِ الَّتِي لَا تَنْقَطِعُ بِالْمَمَاتِ، وَسَيَنْتَظِمُ كَلَامُنَا حَوْلَ هَذَا الْعُنْوَانِ فِي ثَلَاثَةِ عَنَاصِرَ:

الْعُنْصُرُ الْأَوَّلُ: اِنْقِطَاعُ الْعَمَلِ بِالْمَوْتِ، فَبِمُجَرَّدِ مَوْتِ الْإِنْسَانِ يَنْقَطِعُ عَمَلُهُ الصَّالِحُ مِنَ الدُّنْيَا, لِأَنَّ الْمَوْتَ عَجْزٌ كَامِلٌ عَنْ إِتْيَانِ الْعِبَادَاتِ أَدَاءً وَقَضَاءً, وَلِأَنَّ الْمَيِّتَ قَدِ ارْتَحَلَ مِنْ دَارِ التَّكْلِيفِ إِلَى دَارِ الْجَزَاءِ, وَلِذَلِكُمْ أَمَرَنَا الشَّرْعُ بِالِاجْتِهَادِ فِي الصَّالِحَاتِ قَبْلَ حُلُولِ الْأَجَلِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى مُخَاطِبًا عِبَادَهِ الْمُؤْمِنِينَ: وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ. وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَنِ الْكُفَّارِ: وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ. وَقَالَ سَيِّدُنَا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: اِرْتَحَلَتِ الدُّنْيَا وَهِيَ مُدْبِرَةٌ، وَارْتَحَلَتِ الْآخِرَةُ وَهِيَ مُقْبِلَةٌ، فَكُونُواْ مِنْ أَبْنَاءِ الْآخِرَةِ، وَلَا تَكُونُواْ مِنْ أَبْنَاءِ الدُّنْيَا، فَالْيَوْمَ الْعَمَلُ وَلَا حِسَابَ، وَغَدًا اِلْحِسَابُ وَلَا عَمَلَ.

الْعُنْصُرُ الثَّانِي: أَعْمَالٌ لَا تَنْقَطِعُ بِالْمَوْتِ، فَهُنَاكَ أَعْمَالٌ صَالِحَةٌ يَسْتَمِرُّ أَجْرُهَا بَعْدَ مَوْتِ صَاحِبِهَا، لِأَنَّهَا فِي الْحَقِيقَةِ مِنْ عَمَلِ الْعَبْدِ وَكَسْبِهِ، وَقَدْ نَصَّ عَلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي الْحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ مُسْلِمٌ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ ﷺ قَالَ: إِذَا مَاتَ ابنُ آدَم انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ: صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ. فَهَذِهِ ثَلَاثَةُ أَعْمَالٍ صَالِحَةٍ:

الْعَمَلُ الْأَوَّلُ: اَلصَّدَقَةُ الْجَارِيَةُ، وَيُصْطَلَحُ عَلَيْهَا بِـــ(الْوَقْفِ)، وَهُوَ: تَحْبِيسُ الْأَصْلِ وَتَسْبِيلُ الْمَنْفَعَةِ لِعُمُومِ الْمُنْتَفِعِينَ. فَلَا يُبَاعُ الْأَصْلُ وَلَا يُورَثُ وَلَا يُوهَبُ، بَلْ يَبْقَى مُسْتَمِرًّا يتَعَاقَبُ النَّاسُ عَلَى الِانْتِفَاعِ بِهِ إِلَى مَا شَاءَ اللَّهُ، كَبِنَاءِ الْمَسَاجِدِ وَالْمَدَارِسِ وَالْمُسْتَشْفَيَاتِ وَإِنْشَاءِ الطُّرُقِ وَحَفْرِ الْآبَارِ وَغَرْسِ الْأَشْجَارِ، أَوِ الْمُسَاهَمَةِ فِي شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ عَلَى قَدْرِ الِاسْتِطَاعَةِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى... وَرَوَى مُسْلِمٌ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا، نَفَّسَ اللَّهُ عنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَومِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ علَى مُعْسِرٍ، يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ...

الْعَمَلُ الثَّانِي: اَلْعِلْمُ الَّذِي يُنْتَفَعُ بِهِ، وَيَعْنِي: الْعِلْمَ الَّذِي يَنْتَفِعُ بِهِ النَّاسُ بَعْدَ مَوْتِ صَاحِبِهِ، سَوَاءٌ كَانَ مِنَ الْعُلُومِ الدِّينِيَّةِ أَوِ الدُّنْيَوِيَّةِ، فَبِقَدْرِ مَا كَانَ هَذَا الْعِلْمُ مَبْنِيًّا عَلَى أَسَاسٍ مِنَ النِّيَّةِ الصَّالِحَةِ، كَانَ نَفْعُهُ أَبْلَغَ أَثَراً وَأَطْوَلَ عُمُراً، كَتَعْلِيمِ النَّاسِ دِينَهُمْ مِمَّنْ هُوَ أَهْلٌ لِلتَّعْلِيمِ، وَتَعْلِيمِ الصَّنَائِعِ وَالْحِرَفِ الَّتِي يَتَوَقَّفُ عَلَيْهَا تَسْهِيلُ حَيَاةِ النَّاسِ، رَوَى التِّرْمِذِيُّ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: إِنَّ الدَّالَّ عَلَى الْخَيْرِ كَفَاعِلِهِ. أَيْ: إِنَّ الْإِنْسَانَ الَّذِي يَدُلُّ أَحَداً عَلَى الْخَيْرِ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِ الْخَيْرِ وثَوَابِهِ، لَا يَنْقُصُ مِنْ أَجْرِهِ شَيْءٌ، مَا دَامَ ذَلِكَ الْخَيْرُ الَّذِي دَلَّ عَلَيْهِ مُسْتَمِرًّا بَيْنَ النَّاسِ يَنْتَفِعُونَ بِهِ.

نَفَعَنِي اللَّـهُ وَإِيَّاكُمْ بِكِتَابِهِ الْـمُبِينِ، وَبِسُنَّةِ نَبِيِّهِ الْمُصْطَفَى الْكَرِيمِ، وَأَجَارَنِي وَإِيَّاكُمْ مِنْ عَذَابِهِ الْمُهِينِ، وَجَعَلَنِـي وَإِيَّاكُمْ مِنَ الذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ آمِينَ، وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الْـحَمْدُ لِلَّـهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

اَلْخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ:

اَلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّـهُ وَلِيُّ الصَّالِحِينَ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، سَيِّدُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، صَلَّى اللَّـهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ، وَمَنِ اقْتَفَى أَثَرَهُمْ وَسَارَ عَلَى نَهْجِهِمْ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

الْعَمَلُ الثَّالِثُ: اَلْوَلَدُ الصَّالِحُ الَّذِي يَدْعُو لَهُ، فَالْمُسْلِمُ الَّذِي يُرَبِّي أَوْلَادَهُ تَرْبِيَةً صَالَحَةً لَا يَنْقَطِعُ أَجْرُ عَمَلِهِ بِالْمَوْتِ، بَلْ يَبْقَى مُسْتَمِرًّا عَبْرَ الأَجْيَالِ، لِأَنَّ كُلَّ عَمَلٍ صَالِحٍ يَقُومُ بِهِ أُولَئِكَ الْأَوْلَادُ يَكُونُ لِوَالِدَيْهِمْ نَصِيبٌ مِنْهُ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ، ذَلِكَ أَنَّ الْأَوْلَادِ مِنْ كَسْبِ الْوَالِدَيْنِ، رَوَى ابْنُ مَاجَةَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: إِنَّ الرَّجُلَ لَتُرْفَعُ دَرَجَتُهُ فِي الْجَنَّةِ فَيَقُولُ: أَنَّى هَذَا؟ فَيُقَالُ: بِاسْتِغْفَارِ وَلَدِكَ لَكَ. فَاتَّقُواْ اللهَ – أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ -، وَاحْرِصُواْ عَلَى هَذِهِ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَاتِ، فَهِيَ خَيْرُ مَا يَنْتَفِعُ بِهِ الْعَبْدُ بَعْدَ الْمَمَاتِ، وَتُرْفَعُ لَهُ بِهِ الدَّرَجَاتُ، وَتُحَطُّ عَنْهُ بِهِ الْخَطِيئَاتُ.

ألا أَكْثِرُواْ مِنَ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى الْهَادِي الْأَمِينِ وَالسِّرَاجِ الْـمُنِيرِ؛ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ، اَللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلَاةً تُرْضِيكَ وَتُرْضِيهِ، وَتَرْضَى بِهَا عَنَّا يَا رَبَّ الْعَالَـمِينَ، مَشْفُوعَةً بِسَلَامٍ عَلَيْهِ فِي الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنِ الْأَرْبَعَةِ الْخُلَفَاءِ، سَادَاتِنَا الْحُنَفَاءِ؛ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ، وَعَنْ بَاقِي الْعَشَرَةِ الْـمُبَشَّرِينَ بِالْجَنَّةِ، وَكَافَّةِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، خُصُوصًا مِنْهُمُ الْأَنْصَارَ وَالْـمُهَاجِرِينَ، وَعَنَّا مَعَهُمْ بِرَحْمَتِكَ يَا رَحْمَانُ يَا رَحِيمُ، وَانْصُرِ اللَّهُمَّ مَنْ قَلَّدْتَهُ أَمَرَ عِبَادِكَ؛ وَلِيَّ أَمرنا خادم الحرمين الشريفين نَصْرًا تُعِزُّ بِهِ الدِّينَ، وَتَرْفَعُ بِهِ رَايَةَ الْإِسْلَامِ وَالْـمُسْلِمِينَ، وَاحْفَظْهُ اللَّهُمَّ فِي كَنَفِكَ الَّذِي لَا يُضَامُ، وَاحْرُسْهُ بِعَيْنِكَ الَّتِي لَا تَنَامُ، بِمَا حَفِظْتَ بِهِ السَّبْعَ الْـمَثَانِيَ وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ، وَأَقِرَّ عَيْنَه بِوَلِيّ عَهْدِهِ إِنَّكَ سَمِيعٌ مُجِيبٌ، اَللَّهُمَّ أَغْنِنَا بِحَلَالِكَ عَنْ حَرَامِكَ، وَبِطَاعَتِكَ عَنْ مَعْصِيَتِكَ، وَبِفَضْلِكَ عَمَّنْ سِوَاكَ، اَللَّهُمَّ اقْضِ حَوَائِجَنَا فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا، وَيَسِّرْ لَنَا سُبُلَ الرِّزْقِ الْحَلَالِ، وَأَغْلِقْ فِي وُجُوهِنَا أَبْوَابَ مَحَارِمِكَ، وَزَهِّدْنَا فِيمَا يُغْضِبُكَ، وَاشْغَلْنَا بِمَا يُرْضِيكَ، فَإِنَّكَ أَنْتَ الْغَنِيُّ وَنَحْنُ الْفُقَرَاءُ، تُعْطِي بِلَا مَسْأَلَةٍ، وَتَعْفُو عِنْدَ الزَّلَّةِ، وَتَقْبَلُ التَّوْبَةَ مِنْ عَبْدِكَ إِذَا هُوَ تَابَ، وَتَفْتَحُ لَهُ إِذَا قَرَعَ الْبَابَ ،اللَّهُمَّ اخْتِمْ بِالصَّالِحَاتِ آجَالَنَا وَأَعْمَالَنَا ، اللَّهُمَّ اجْعَلْ هَذَا الْعَامَ عَامَ خَيْرٍ وَبَرَكَةٍ عَلَيْنَا وَعَلَى بِلَادِنَا وَعَلَى آهِلِينَا،اللَّهُمَّ حَقِّقْ آمَالَ وَأَهْدَافَ الْحَاضِرِينَ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ وَاجْعَلْهَا يَارِبُنَا فِي مَرْضَاتِكَ، رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ، سُبْحَانَ رَبِّك رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ، وَسَلَامٌ عَلَى الْـمُرْسَلِينَ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَـمِينَ.